بسملة

العودة إلى الدِّين: بدايةُ المستقبل الواعد

■ الشيخ حسين كوراني

﴿وما أرسلناكَ إلّا رحمةً للعالَمين﴾.
قرآن كريم

لم تعرف البشرية العدل واكتمال العقل والأمن النفسي إلّا مع الأنبياء ومنهم.
بعث الله تعالى الأنبياء «**ليُثيروا دفائنَ العقول**» وكان أوّل إنسان نبيّاً هو آدم عليه السلام، يحمل رسالة العقل والتعقّل في مواجهة الأهواء والغرائز التي هي إله مَن يصرّ على مسخ الإنسانيّة لصالح الحيوانية، وهي أيضاً إله الطواغيت والملإ والمترَفين ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ الفرقان:٤٣.
لكلّ إنسانٍ قابيلُه وهابيلُه، وآدميّته وإبليسيّته والصِّراع محتدمٌ مُتعاظم، إلى أن يُمسك العقل بتلابيب المسار فيتحقّق العدل في النفس الذي يشير إلى خصائص تحقيق العدالة في الأرض.
تلك هي طبيعة «**الإختيار**» في جوهرة الإنسانية الفريدة التي تأبى «**التشيئة**» و«**التسليع**». أرادها الله تعالى مسؤولةً تمتلك حقّ تقرير المصير.
يبدأ العدُّ العكسي لعملية مسخ هذه الجوهرة من خلال «**التَّعلُّقات**» –بالأوهام والأشياء والسِّلَع– التي تودي الأهواء والغرائز بالإنسان في جهنَّمها والسَّعير، فإذا الجوهرة عبدٌ قنٌّ للوهم والهباء والظِّلّ الزائل، وإذا الغالب في دورة الحياة الدنيا مالٌ ورأسمال، ومستكبرون ومستضعفون، وتسلّطٌ وتفرعُن، وثورة عليهما، وضحايا وجلّادون، وسيلُ الدِّماء العرم.
بوسع كلٍّ منّا أن يتصوّر مدى غَلَبة الهوى على العقل في مسار البشريّة على وجه الأرض، من خلال التدبّر في غلبة هواه على تعقُّلِه في رحلته الفرديّة في ميادين الحياة.
من هنا كان التنكُّر البشري للهدى الإلهي الذي حمله أوّل إنسانٍ وأوّل نبيّ، هو العنوان الأبرز –حتّى الآن– في رحلة البشرية المعذّبة.
ومن هنا كان تواتر الأنبياء، وصولاً إلى خاتم الأنبياء الذي اكتملت به دورة الهدى الإلهي بنسخته المحمديَّة قرآناً وعترة: «**كتاب الله وعترتي**».

**

مع الرسالة الخاتمة كانت بداية المستقبل الواعد لجميع الناس. هي ختمٌ بمعنى اكتمال حاجة البشريَّة من القانون الإلهي، وهي بدايةٌ لمسارٍ طويل ينتهي بتحقيق وعد الله تعالى ببلوغ البشريّة كمال الرُّشد، وغلبة العقل على الهوى ﴿..لِيَقُومَ

ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ..﴾ الحديد:٢٥، ﴿..لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ..﴾ التوبة:٣٣، وتتحقَّق كلُّ القِيَم الفاضلة التي عجزت البشرية عن تحقيقها في أجواء غَلَبة الهوى على العقل.

لا ينفصل هذا المسار الطّويل عن المواكبة المعصومة من جوْر الهوى التي هي تجلّي العقل الأتمّ.

كما كان لكلّ نبيٍّ أوصياء يقودون مسيرة النبوّة الماضية إلى أن يبلغ تطوُّر التَّجربة البشرية مشارف نبوّةٍ لاحقة، كان للنبيّ الخاتم أوصياء بهم يستمر الهدى الإلهي بنسخته الخاتمة، وحيث لا نبيَّ بعد رسول الله ﷺ، كان لابدّ من استمرار نهج الأوصياء المؤتمَنين على الرسالة وحسن اتِّباع الأجيال للرسول ﷺ، إلى يوم القيامة. «**لا يزال الدِّين ظاهراً حتّى تقوم السّاعة، ويكونُ عليهم اثنا عشر خليفة كلُّهم من قريش**».

ليستمرَّ حسن اتِّباع الأجيال لرسول الله ﷺ، ولا تَفَرَّق بالأمّة السُّبل، يجبُ على أهل كلّ زمان بيعة من يكون إمام زمانهم من هؤلاء الإثني عشر إماماً. «**من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهليّة**».

مفهوم «**الأئمّة الإثنا عشر**» إجماعيٌّ عند علماء الأمّة، ومثلُه مفهوم «**بيعة إمام الزّمان**»، ومفهوم «**التَّمسُّك بالكتاب والعترة في كل عصر**»، هو بدوره كذلك إجماعيّ. لا يكاد ينقضي العجب ممّن لا يُوقن بوحدة الأمّة الإسلامية الحقيقية عقيدةً وعلى مستوى النّظريّة.

عندما يكشف الغطاء عن زَيف «**النَّواصب**» و«**البترو دولار**» سنكتشف أننا جميعاً محمَّديّون وشيعةُ أهل البيت، نبحث عن «**إمام الزّمان**» منهم ومعهم لضمان سلامة «**المحمّديّة البيضاء**» وحُسْنِ الإسلام والتّوحيد.

**

أبرز خصائص هذا العصر، عودة البشريّة إلى رسول الله ﷺ. إلى الدِّين والرّشد وحكومة العقل.

سيكون المخاض عسيراً، إلّا أنّ مستقبل البشريَة مشْرق. لسنا في مرحلة «**نهاية التاريخ**» بل في «**بداية المستقبل الواعد**».

الوجه الآخر للحملات المسيئة إلى رسول الله ﷺ – بالكتابات والرسوم ومحاولات إحراق القرآن الكريم– أنَّ دوائر الإستكبار العالمي المُتصهْين ترصدُ انفتاحاً كونيّاً على الدِّين وتميّزاً في الحنين العالمي إلى خاتم النبيّين ﷺ.

كانت الثورة الإسلاميّة في إيران، وما تزال بداية نهاية الإستعمار والإحتلال، وكان زمن التحوّل التاريخي العظيم حربا «**تمّوز**» و«**غزّة**» كأبرز نصرين، وأنضج ثمرتين في شجرة تحقيق وعد الله تعالى بالحكومة العالميَّة الواحدة والعادلة.

قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام : «**لَتَعْطِفَنَّ الدُّنيا علينا بعد شِماسِها، عَطْفَ الضَّرُوس على وَلدها. وتلا عقيب ذلك:** ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص:٥».